الفصل الخامس عشر

القواعد الاساسية فى التربية الاسلامية

سنوضح الآن القواعد الاساسية للتدريس للاطفال فى التربية الاسلامية بأقوال بعض العلماء من المسلمين كالغزالى وابن سينا والزرنوجى والعبدرى وابن خلدون :

١ ـ عدم تحديد السن لبدء التعليم :

لم تحدد سن لبدء تعليم الاطفال : فكان بعض الآباء يرسلون اولادهم للتعلم آونة فى الخامسة من عمرهم واحيانا فى السادسة او السابعة ولم تلزمهم الحكومة بارسالهم فى سن معينة فقد كان طلب العلم فى الاسلام فرضا على كل مسلم ومسلمة . وقد ترك للآباء اختيار الوقت المناسب لارسال أولادهم الى الكتاتيب او غيرها للتعلم .

وقد انتقد العبدرى فى كتابه مدخل الشرع الشريف (١) ـ الآباء الذين يرسلون أبناءهم الى الكتاتيب قبل السنة السابعة من العمر قائلا ان السلف الصالح كانوا يرسلون أبناءهم الى الكتاب فى سن السابعة وهى السن التى يكلف فيها أولياء الامور تعليم الاولاد الصلاة والفضائل من الاخلاق . ولكن الاطفال يذهبون الآن للتعلم فى سن مبكرة . فليحذر المدرس من تعليمهم القراءة فى سن مبكرة لان تعليمهم المبكر فى الرابعة أو الخامسة يرهقهم جسميا وعقليا . والواقع أن الآباء يرسلون اطفالهم الى المدارس والكتاتيب مبكرين لا يقصدون تعليمهم القراءة والكتابة ولكنهم يريدون التخلص من متاعبهم بابعادهم عن الدار أو البيت .

وان التربية الحديثة اليوم تؤيد ما رآه العبدرى من علماء الاسلام قديما فى نقد التبكير فى ارسال الاطفال الى المدرسة فى سن الرابعة او الخامسة . واذا أرسلوا فى تلك السن فانهم يرسلون الى رياض الاطفال ليلعبوا ويتعلموا بطريقة اللعب فى التربية .

٢ ـ عدم تحديد المدة التى يمكثها الطفل فى الكتاب :

لم تكن هناك مدة محدودة يمكثها الطفل للتعلم فى الكتاب فقد كان الطفل يرسل الى المكتب فيتعلم مبادىء القراءة والكتابة ثم يأخذ فى حفظ السور القصيرة من القرآن فيحفظ جزء عم ثم جزء تبارك

---

(١) جـ ٢ ص ١٦٣ .

بالترتيب ثم يستمر فى حفظه حتى يحفظ بعضه أو كله وقد يستمر الصبى فى الكتاب الى سن المراهقة . ويتعلم دروس الدين وبعض الاحاديث ويدرس فى الوقت نفسه الحساب والنحو والشعر .

٣ ـ التفرقة فى الطريقة التى تتبع فى التعليم فطريقة التدريس للاطفال تختلف عن الطريقة التى تتبع فى التدريس للكبار . وقد نادى الغزالى بذلك المبدأ لان هناك فرقا بين ادراك الصغار وادراك الكبار وقال : ان من اول واجبات المربى ان يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدى الى ارتباكه العقلى وتنفره من المعلم، ويعد هذا الرأى من أهم الآراء فى التربية الحديثة فى القرن العشرين .

ويشاركه العلامة ابن خلدون فى هذا المبدأ فهو يرى ايضا مراعاة ادراك الطفل ومستواه عند التدريس له حيث يقول : « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى ادركنا . يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون للمتعلم فى أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبون ذهنه يحلها ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصوابا فيه ... فان قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجيا فيكون المتعلم أول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا الأقل وعلى سبيل التقرب والاجمال بالامثلة الحسية ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم التحصيل .. » فالغزالى وابن خلدون وغيرهما يرون ان تفكير الطفل يخالف تفكير الرجل ويجب مراعاة ذلك فى طريقة التدريس » .

٤ ـ الا يخلط المعلم علمين معا :

لكى يضمن تيسير عمل المدرس يرى ابن خلدون « الا يخلط المعلم علمين معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الآخر .. ومعنى هذا انه يجب ان يكون المدرس مدرس مادة يتخصص فيها حتى يجيدها .

٥ ـ العناية بالامثلة المحسة لتقريب المعنى الى أذهان الاطفال وهو مايقصده علماء التربية من مناداتهم بالانتقال من الامور المحسة الى المعقولة حتى يسهل على المتعلمين الفهم والادراك .

٦ ـ مراعاة ميول الأطفال لبعض المواد الدراسية حتى يسهل عليهم فهمها . وقد بين ابن خلدون مطالبة الاطفال بدراسة المسائل الصعبة

التى فوق مداركهم تؤدى الى اجهادهم اجهادا عقليا والى كراهيتهم الدائمة للعلم والتعلم ونادى بأن تكون المادة مناسبة فى سهولتها وصعوبتها لادراك الطفل . وانتقد من كانوا يقولون بتقديم المواد الصعبة للطفل ظانين ان ذلك يساعد فى تقوية تفكيره . وهذا ما يريده علماء التربية اليوم من قولهم : « الانتقال من السهل الى الصعب » .

فابن خلدون يتفق مع فلاسفة التربية الحديثة الذين يطالبون بمراعاة ميول الطفل وجعلها اساسا لتعليمه وينادون بأن نجاح الطفل فى اى عمل يساعده على النجاح فى غيره من الاعمال لان النجاح يؤدى الى النجاح ، وان مايساعده على النجاح .. يشبع مالديه من ميل فطرى الى حب التقدم والسيطرة .

فاذا كانت الدروس صعبة والمواد فوق مستواه صعب على الطفل فهمها وضاعت ثقته بنفسه لانه لم يجد الغذاء العقلى المناسب لنموه وتقدمه .

ولايمكننا هنا أن ننسى ما أظهره ابن خلدون من الآراء النفسية والملاحظات الدقيقة الخاصة بمراحل النمو وهى لاتختلف مطلقا عن آراء علماء النفس فى عصرنا الحاضر فقد بين ماتمتاز به مرحلة الطفولة من الطاعة والهدوء والاستقرار ولهذا عنيت التربية الاسلامية فى هذه المرحلة بالحفظ والاستظهار والاعادة والتكرار والانتفاع بما لدى الطفل من استعدادات ووضح ماتمتاز به مرحلة البلوغ والمراهقة من الميل الشديد الى الحرية والاستقلال فى العمل وكره القيود والعبودية .

٧ ـ البدء بتعلم اللغة العربية ثم دراسة القرآن الكريم .

حينما اختلط العرب بغيرهم من المسلمين فسدت اللغة العربية وكثر الخطأ واللحن ولهذا نادى القاضى أبو بكر بن العربى بالبدء بتعليم اللغة العربية وتقديمها على غيرها من المواد ثم الانتقال الى دراسة القرآن الكريم لان دراسته تسهل بعد معرفة اللغة العربية وقد وافقه ابن خلدون على هذا الراى قائلا أما أن يؤخذ الصبى بكتاب الله فى أول عهده بالتعليم فيقرأ مالايفهم فأمر يدل على الغفلة (١) .

فابن خلدون يرى مراعاة ادراك الطفل وفهمه ويطالبه بقراءة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ .

ما يستطيع أن يفهم وتعلم ما يمكنه أن يدركه . ويعترف ابن خلدون بصواب طريقة أبى بكر بن العربى ولكنه لاينصح باتباعها لان « العادات لاتساعد عليها » فقد كان المسلمون يبكرون بدراسة القرآن الكريم وحفظه ويزودون الطفل بكل مايستطيع أن يحفظه فى الصغر من القرآن للتبرك به خوفا من ان يحدث له شىء فى شبابه يقطعه عن العلم فيفوته القرآن . ولهذا كانوا ينتهزون الفرصة فى الطفولة ويكلفونه البدء بحفظ القرآن خوفا من أن يذهب وهو خال منه .

فهذه الرغبة فى التبرك بالقرآن الكريم وشدة التعلق به والخوف من ضياع الفرصة فى حفظه فى الطفولة تغلبت على مبدأ فى التربية نادى به ابن خلدون وهو : تعليم الطفل ما يستطيع فهمه ويناسب ادراكه ويشبع ميوله ورغباته وحاجاته .

٨ ــ مراعاة استعدادات الصبى الفطرية وغرائزه الطبيعية فى ارشاده الى المهنة .

لقد طالب علماء التربية الاسلامية وخاصة ابن سينا بمراعاة ميول المتعلم واستعداداته الفطرية وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التى يختارها فى مستقبل حياته لخدمة بلاده . وقد نادى ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الصبى وجعلها أساسا لارشاده وتربيته حيث قال : « ليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنة له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه وانه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غفلا من الادب وعاريا من صناعة . واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار اشرف الآداب وارفع الصناعات وربما نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشىء ... ولذلك ينبغى لمدير الصبى اذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبى ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك » .

وهى نصيحة ثمينة لابن سينا ينصح فيها المربين من الآباء والمعلمين الذين يرومون اختيار صناعة من الصناعات لصبى من الصبيان ان يزنوا طبع الصبى أو ميله ويعرفوه ويختبروا قريحته وعقله وذكاءه حتى يختاروا له من الصناعات ماينناسب ميله وعقله وهذا رأى من أثمن الآراء فى التربية الاسلامية يتفق مع أحدث الاتجاهات فى التربية الحديثة . فهو يرى أن من الواجب البحث عما يناسب ميول الصبى وطباعه وغرائزه

ومراعاتها فى اختيار مايرغب التخصص به فى المستقبل فاذا كان يميل الى الدراسة الدينية وجه اليها واذا رغب فى الناحية العملية شجع عليهاواذا احب الدراسة العقلية او العلمية أرشد اليها واعطى الفرصة فى دراسة مايريد . وهذا ما ننادى به اليوم فى عالم التربية .

فمن كان يميل بطبيعته الى الادب والدراسة الادبية لايستطيع ان يكون فائقا فى البحوث العلمية . ومن كان يميل الى العلوم الرياضية لايمكنه ان يتفوق فى الآداب . وليس من السهل أن يظهر المتعلم التفوق والنبوغ والمهارة فى كل مادة يدرسها ولكنه يستطيع أن يتفوق وينبغ ويكون ماهرا فى المواد التى يحبها ويميل الى دراستها . أما المواد التى يكرهها وينفر منها فمن المحال ان يتفوق فيها . فكل متعلم ميسر لما خلق له . وهذا مايريده ابن سينا بقوله : وربما نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشىء ولو كان من السهل ان يحقق المتعلم كل مايبتغى لكان أديبا او عالما أو رياضيا او طبيبا كما أراد ولكن ميول الشخص وذكاءه وعقليته هى التى تتحكم فى فوزه او خيبته وتؤثر فى نجاحه أو اخفاقه .

وقد عنى عبد الرحمن بن الجوزى « المتوفى سنة ٥٩٧ هـ » كل العناية بتوضيح اهمية الاستعدادات الفطرية التى لدى الصبى ومراعاتها فى التدريس حيث قال : ان الرياضة لا تصلح الا فى نجيب والكودن(١) لا تنفعه الرياضة . والسبع وان ربى صغيرا لا يترك الافتراس . ومعنى هذا ان للذكاء والغباوة اثرا كبيرا فى نجاح المتعلم او اخفاقه فى الناحية العلمية وان النجيب الذكى يصلح للرياضة ويستطيع ان يدرسها ويفوق فى دراستها وان الكودن وهو البليد الغبى ، لاتنفعه الرياضة ولا يمكنه ان ينجح فى المواد التى تحتاج الى نجابة وذكاء ولا يستطيع ان يتفوق فيها والسبع مفترس بفطرته ولن تحوله التربية من حيوان مفترس الى حيوان اليف هادىء وديع لا يضرب احدا . لان الطبع يغلب التطبع . قال الشاعر العربى .

اذا ما المرء لم يولد لبيبا فليس بنافع قدم الولادة

وهو يريد بهذا أن الانسان اذا لم يولد ذكيا فان قدم الولادة اى كبر السن لن ينفعه ولن يؤثر فيه . واذا رزق احد الاغنياء والأثرياء طفلا فى منتهى الغباوة فلن يستطيع بغناه وثروته وعنايته بتربيته

(١) الكودن : الفرس الهجين والفيل والبغل والبرذون .

واحضاره أحسن المربين له أن يحوله من غبى الى ذكى أو فائق الذكاء (١) فالذكاء وراثى وهو هبة فطرية من الله بها يستطيع الانسان أن يحل مايعترضه من المشكلات فى الحياة . وأن النسبة الذكائية للشخص الواحد محدودة لاتزيد ولاتنقص بالتربية فالذكىذكى بفطرته والغبىغبى بطبيعته فالذكى وهو طفل ذكى وهو رجل ، والغبى فى طفولته غبى فى رجولته .

وقد أوصى الزرنوجى فى كتابه : «تعليم المتعلم» الا يختار الطالب وحده المادة التى يريد أن يتخصص بدراستها بل يشترك معه المدرس بما أوتى من خبرة وتجربة فى اختيار مايلائمه من العلوم . وليس لدينا مايمنع من أن يختار الطالب المواد التى يميل اليها مسترشدا برأي استاذه فى الاختيار بشرط ألا تهمل ميول الطالب من الناحية العلمية .

هذه الآراء كلها ثمينة تدل على عظمة فلاسفة الاسلام وماكانلديهم من افكار ناضجة فى تربية الطفل ونفسيته والوراثة والاستعدادات الفطرية والميول الطبيعية فى وقت كانت العقول فيه مغلقة والآراء فجة .

٩ ـ اللعب والترويح عن النفس :

لقد أحس علماء التربية الاسلامية بأن الطفل فى حاجة الى اللعب والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه . فحجرة الدراسة كان يسودها الهدوء والاصغاء للدرس والسكون ومحاولة التعلم فكان الطفل يشعر بالملل والتعب والحاجة الى الراحة والحركة والترويح عن النفس. لهذا كانوا يسمحون للطفل خارج حجرة الدراسة بالكلام والحركة والنشاط والمرح واللعب ليروح عن نفسه ويزيل مايحس به من السآمة والملل أو التعب .ويعد اللعب للترويح عنالنفس فىالتربية الاسلاميةهاما ومفيدا للطفل من النواحى العقلية والجسمية والخلقية . ولاعجب فقد نصح الغزالى أن يسمح للطفل باللعب اليسير لا باللعب الشاق بعدالانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه بشرط ألا يتعب نفسه . فان منع الصبىمن اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش (٢) .

---

(١) اقرأ الاختبارات العقلية ومقاييس الذكاء ، في الفصل الأول من الجزء الثانى من كتاب (في علم النفس) للمؤلف وشريكه .

(٢) الاحياء للغزالى ج ٣ ص ٦٨ .

وقد نادى العبدرى بضرورة اللعب والترويح عن النفس للطفل بعد ساعات الدرس . ولهذا تجد فى جميع المعاهد الاسلامية عطلة كل اسبوع من ظهر يوم الخميس الى نهاية يوم الجمعة وعطلة فى الاجازة الصيفية وعيد الفطر وعيد الاضحى والمناسبات الدينية الاسلامية كأول السنة الهجرية ومولد النبى .

وقال الغزالى : وينبغى أن يؤذن له (للصبى) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لايتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه راسا .. وهذا كله يطابق ماتطلبه التربية الحديثة اليوم .